الشاهد القرآني في العلوم العربية والإسلامية

بحث مُقدّم

لمركز بحوث القرآن بجامعة ملايا

في ماليزيا

المؤتمر القرآني الدولي السنوي

مقدس ٤

من ١٤ – ٢٠١٤/٤/١٥م.

١٤ – ١٤٣٥/٦/١٥هـ.

بقلم

د. سراج الدّين بلال (الأسرع)

المدير العام لأكاديميّة عناية الله العالميّة: نيجيريا.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الشاهد القرآني في العلوم العربية والإسلامية

بقلم الدكتور/ سراج الدين بلال الأسرع

المدير العام لأكاديميّة عناية الله العالميّة، إيوو، نيجيريا.

الحمد لله الذي أنزل كتابه العزيز، وجعل في تلاوته وتدبّر آياته مقامات يتنافس فيها أولو النهى والألباب، والصلاة والسلام على نبينا محمد الموحَى إليه بهذا القرآن لبيان مَا اخْتَلَفَ فيه النّاسُ، وشرح مَا خفي عنهم مِن معانيه وغاياته وَمَرَاميه، وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحساب والمآب . . . وبعد:

لقد جرت حكمة الله الأزلية أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرة والدلائل الواضحة القوية والحجج والبراهين الدافعة التي تدل على صدقهم، وعلى أنهم مرسلون من عند الله تعالى، وقد خصّ الله سبحانه وتعالى نبينا محمدًا صلّى الله عليه وسلّم بالمعجزة العظمى (القرآن الكريم) ذلك الكتاب العربي المبين الفصيح البليغ الذي نزل على قوم امتازوا وبرعوا في الفصاحة والبيان، ألقاه على قلب نبيه قرآنًا عربيًا غير ذي عوج ليتلوه آناء الليل وأطراف النهار.

أهداف البحث

ما من عمل إلاّ ويكون له هدف يرمي صاحبه إلى تحقيقه، لذا، فإن هذا البحث (الشاهد القرآن في العلوم العربية والإسلامية) تتلخص أهدافه فيما يلي:

- الإعلام بأن جميع العلوم (العربية والإسلامية) تفيئ إلى القرآن الكريم، لأنه نزل باللغة العربية، وأنه الذي وحّد اللهجات العربية كلها في دائرة واحدة، فتحصّنت منه هذه اللغة، واتخذت منه مأمنًا لبقائها ومرجعًا لجميع العلوم الإسلامية والعربية، حيث يرجع إليه علماء اللغة العربية في شرح المفردات العربية المعقدة والغامضة، وكذلك يعول عليه أهل العلم في حسم الخلافات الإعرابية والقضائية والسياسية وغيرها من القواعد العربية والضوابط الشرعية .
- يُبيّن البحث حقيقة عروبة القرآن الكريم بذكر الآيات القرآنية التي تشير إليها. منها: قوله تعالى: **{إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون}**[1] وقوله: **{كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيًا لقوم يعلمون}**[2]. ومع تأكيد القرآن هذه الحقيقة فقد نفى أن يكون فيه لسان غير عربي، وذلك في آيتين هما: قوله تعالى: **{ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعَلِّمُه بَشَرٌ لسانُ الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين}**[3] وقوله تعالى: **{ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لو لا فصّلت آياته أأعجمي وعربي}**[4].

---

[1] – سورة يوسف: ٢.

[2] – سورة فصّلت: ٣.

[3] – سورة النحل: ١٠٣.

[4] – سورة فصّلت: ٤٤.

- تسليط الضوء الساطع على أن جميع الأساليب العربية موجودة في القرآن الكريم، وأنه –القرآن– لم يخرج أصلا من مألوف العرب في لغتهم العربية؛ من حيث المفردات والجمل فمن حروفهم تألّفت كلماته، ومن كلماتهم ركبت جُمَلُهُ، ومن قواعدهم صيغت مفرداته، وتكونت جُمَلُه، وأحكم نظمه، فكان القرآن جاريًا على أساليب العرب وَبَلاَغَتِهم، ولكنه أعجزهم بأسلوبه البياني، ونظمه الفذ، وأخباره بالغيب، ومعانيه الصادقة، وأحكامه الدقيقة العادلة والصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وهو الكتاب الوحيد الذي تعبّد الله به البشر، وألزمهم بالعبادة بلغته العربية كما في الصلاة، والخطبة والتلبية في الحج وغيرها). وقد تحدى الله البشر كافة أن يأتوا بمثل هذا القرآن، كما أنه لا بديل له في فهم الدين إلى قيام الساعة.
- إثبات قلب الإنسان المسلم على هذا الدين الإسلامي الحنيف والذي استمدت عقيدته من كتاب الله تعالى، واستنبطت علومه الإسلامية من الوحي الحكيم، مثل علم التفسير والفقه الإسلامي، وأصوله، وعلم السياسة، والقضاء وعلم الصناعة والهندسة والإحياء والفلك وغيرها.

فلنضرب مثلاً بعلم التوحيد، فالقرآن كله من ألفه إلى يائه في بيان التوحيد، كما قسم بعض أهل العلم القرآن إلى توحيد، وإخبار، وأحكام.

وبيان ذلك: أن الله تعالى في القرآن الكريم إما أن يخبر عن نفسه واسمه وصفاته وهذا يدخل في التوحيد، وإما أن يكون إخبارًا من الأمم الماضية وأنبيائهم، والصراع بينهم في توحيد الألوهية. وإما إخبارًا عن الساعة والجنة والنار، وهذا جزاء التوحيد، والأحكام كلها من لوازم التوحيد، ولا يمكن لأحد أن يحقق شيئا من تلك الأحكام إلاّ بعد تحقيق التوحيد.

وكذلك يفصل القرآن في الخصومة والاختلاف، ويحكم بالعدل والمساواة، ويحكى عن مخلوقات الله تعالى، أصولها، وتطورها ومنافعها، ومصيرها. ولا تكاد تجد علمًا من العلوم العربية والإسلامية إلاّ وله شاهد صريح أو إشارة في القرآن.

- وعلى من أراد الاستزادة في العلوم العربية والإسلامية وفي الوقت نفسه يرجو الثواب والجزاء من الله على هذه العلوم وتعليمها، فليلزم كتاب الله تعالى –القرآن الكريم– تعلمًا، ودراسة، وتلاوة، وعملاً. وهو تبيان لكل شيئ.

خطة البحث

لقد قسمت البحث إلى المباحث التالية:

المبحث الأوّل: اتخاذ اللغة العربيّة من القرآن الكريم مأمنًا لبقائها وأصالتها.

المبحث الثاني: الحكمة من نزول القرآن الكريم باللغة العربية.

المبحث الثالث: رجوع علماء اللغة العربية في شرح المفردات العربية وحل مشكلاتها إلى القرآن الكريم.

وفيه **ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: كون القرآن مرجعًا لقواعد اللغة العربية.

المطلب الثاني: التعويل على القرآن الكريم في استقراء القواعد النحوية.

المطلب الثالث: اشتمال القرآن الكريم على جميع ألوان البلاغة والفصاحة في اللغة العربية.

المبحث الرابع: تجذّر العلوم الإسلامية من القرآن الكريم.

المبحث الخامس: نماذج من العلوم العربية والإسلامية المستنبطة من القرآن الكريم: مثل (علم التوحيد، والتفسير، والفقه، والفرائض، والقواعد النحوية، والسياسة، والرياضيات، والفيزياء، والزراعة وغيرها).

المبحث الأوّل

اتخاذ اللغة العربية من القرآن الكريم مأمنًا لبقائها وأصالتها

لقد عرف العرب كمال لغتهم في القرآن الكريم، فاجتمعوا عليه، وأجمعوا على إعجازه، ولولا ذلك لزاد ما بين لهجاتهم من تباين واختلاف، ولازدادوا بُعدًا عن فصاحة لسانهم، ووحدة لغتهم، تلك الوحدة اللغوية هي التي نزل بها القرآن، فرسخها وأرسى قواعدها. وقد قامت بين هذه اللغة العربية والإسلام صلات وثيقة يكثر تعدادها، ويصعب حصرها، فلا إسلام بلا قرآن، ولا قرآن بغير اللغة العربية، وإذا، فاللغة العربية أقرب الطرق الموصلة إلى فهم الإسلام، وإدراك معانيه ومقاصده من منابعه العربية الأصيلة.

وقد يسأل سائل: أي شيئ أكسب اللغة العربية البقاء والخلود؟ فيجاب بأنه لا ريب أن كل عربي سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، وكل مسلم عربيًا كان أو أعجميًا يعلم الجاذبية التي سرت في هذه اللغة المشرقة، فأكسبها الديمومة والبقاء والأمن، هذه الجاذبية والروح الجبارة هي القرآن الكريم، إنه قطب الرحى ونور الهدى للأمة الإسلامية. فكل مسلم يشعر أن اللغة العربية لغته؛ لأن القرآن الكريم نزل بها. وقد أثبت الله تعالى هذه الحقيقة –نزول القرآن باللغة العربية– في أكثر من موضع وأكثر من سورة من سور الكتاب العزيز.

فهناك أربعة عشر موضعا[1] أكّد فيها الله تعالى في خطابه لمحمد صلى الله عليه وسلّم أن هذا القرآن أنزل بلسان عربي أي باللغة التي يتكلمها ويتقنها العرب المعاصرون لزمن النزول. قال الله تعالى:

(١) **{الٓر، تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}**[2] (٢) **{وكذلك أنزلناه حكما عربيّا}**[3]. (٣) **{وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتّقون أو يُحدِثُ لهم ذكرا}**[4]. (٤) **{وإنّه لتنزيل ربّ العالمين * نزل به الرّوحُ الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربيّ مبين}**[5]. (٥) **{ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون، قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم**

---

[1] – ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد فؤاد عبد الباقي.

[2] – سورة يوسف: ٢.

[3] – سورة الرّعد: ٣٧.

[4] – سورة طه: ١١٣.

[5] – سورة الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥.

يتقون}[1]. (٦) **{حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعقلون}**[2]. (٧) **{وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيّا لتنذر أمّ القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه}**[3]. (٨) **{حم * والكتاب المبين * إنّا جعلناه قرآنا عربيّا لعلّكم تعقلون}**[4]. (٩) **{ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدِّق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين}**[5]. (١٠) **{لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين}**[6]. (١١) **{ولو جعلناه قرآنا عربيا لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجميّ وعربيّ قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء}**[7]. (١٢) **{فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون}**[8]. (١٣) **{فإنّما يسّرناه يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين وتنذر به قوما لُدًّا}**[9]. (١٤) **{وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم}**[10].

المبحث الثاني

الحكمة من نزول القرآن الكريم باللغة العربية

وقد تجلت حكمته تبارك وتعالى في إرسال كل رسول بلسان قومه ولغة أمته التي بعث إليها، لدعوتها إلى الله باللسان الذي تفهم به، وليكون لبيان الرسول أثر وتأثير، قال تعالى: **{وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم}**[11]. ولما كانت رسالة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم خالدة وخاتمة وعامة، فقد وجب على جميع الناس والأمم الإيمان به واتّباعُه، ولا يكمل دين المرء إلاّ بتلاوة شيئ من الكتاب العربي الذي أنزله الله تعالى (القرآن الكريم) مما يجعل لغته لغة أتباعه وأمته وأمة العروبة ليست أمة بالنسب والدم فقط، وإنما من تكلم العربية فهو عربي اللسان والثقافة والانتماء.

ولكن قد يرد إشكالٌ لبعض الناس ويتساءل: لماذا أنزل القرآن الكريم باللسان العربي؟

---

[1] – سورة الزمر: ٢٦ – ٢٧.

[2] – سورة فصّلت: ٣.

[3] – سورة الشورى: ٧.

[4] – سورة الزخرف: ٢ — ١.

[5] – سورة الأحقاف: ١٢.

[6] – سورة النحل: ١٠٣.

[7] – سورة فصّلت: ٤٤.

[8] – سورة الدخان: ٥٨.

[9] – سورة مريم: ٩٧.

[10] – سورة إبراهيم: ٤.

[11] - سورة إبراهيم: ٤.

أقوال العلماء في حكمة نزول القرآن الكريم باللغة العربية

قد يرد إشكالٌ لبعض الناس ويتساءل: لماذا أنزل القرآن الكريم باللسان العربي؟ مع أنه مُوجَّه للناس كافة بل إلى الإنسان والجن ولغاتهم متباينة وألسنتهم مختلفةٌ وليس للعرب وحدهم **{إن هو إلاّ ذكر للعالمين}**[1]، والرسول مبعوث لسائر الأمم وليس لقومه العرب فقط **{قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا}**[2].

يجاب عنه: أن القرآن نفسَه قد أجاب عن هذا السؤال بكل دقة ووضوح في أكثر من موضع حين قال مثلا:**{فإنما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون}**[3]. **{فإنما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتقين وتنذر به قوما لُدًّا}**[4]. **{وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبيّن لهم}**[5]. **{وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيّا لتنذر أمّ القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه}**[6].

ثم زاد الأمر إيضاحا حين قال: **{ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجمي وعربيّ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء}**[7].

قال العلامة الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: **{وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه. . .}** مجيباً على هذا التساؤل: بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان مُرْسَلاً إلى الثقلين كما مرّ، لكن لما كان قومه العرب وكانوا أخصّ به وأقرب إليه كان إرساله بلسانهم أولى من إرساله بلسان غيرهم، وهم يبيّنونه لِمَن كان على غير لسانهم ويوضّحونه حتى يصير فاهماً له كفهمهم إياه، ولو نزل القرآن بجميع لغات مَن أرسل إليهم، وبيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لِكُلِّ قومٍ بلسانهم لكان ذلك مظنة للاختلاف وفتحا لباب التنازع لأن كل أمة قد تدّعى من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرُها، وربما كان ذلك أيضا مفضيا إلى التحريف والتصحيف بسبب الدعاوي الباطلة التي يقع فيها المتعصبون[8].

وصفوة أقوال العلماء في هذا الشأن: أن القرآن وإن كان خطابا إلى العالمين كافة من إنس وجن وعرب وعجم على اختلاف لغاتهم وأجناسهم، إلا أن هذا الخطاب المُوَجَّهَ لهذه العوالم كلِّها كان لا بد أن يمرّ بمراحل:

- ***مرحلة الملتقي الأول:*** وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي اللسان، لا يفقه غيرَه إذ كان من الأميّين.

---

[1] – سورة ص: ٨٧.

[2] – سورة الأعراف: ١٥٨.

[3] – سورة الدخان: ٥٨.

[4] – سورة مريم: ٩٧.

[5] – سورة إبراهيم: ٤.

[6] – سورة الشورى: ٧.

[7] – سورة فصّلت: ٤٤.

[8] - فتح القدير، للشوكاني: ٩٤/٣.

- ***مرحلة الملتقي الثاني:*** وهو العرب؛ قوم محمد صلى الله عليه وسلم الذين أيضا لا يفهمون غير العربية، ومنهم تكوّن الأنصار والمهاجرون وحماة هذا الدين ومؤسسوه أول الأمر، وكان لا بد من مخاطبتهم أو إقناعهم ومحاججتهم باللغة التي يفهمونها ولا يمكن أن يخاطب الملتقي الأول والثاني إلا بما يفهم ويفقه من الكلام، فإذا فهم الخطاب واستوعبه أُمِر بَعْدَ ذلك بإبلاغه إلى غيرِ العرب.

وهنا تأتي **مرحلة الملتقي الثالث** الذي لا يفهم العربية ولكنه مأمورٌ معنِيٌّ بالخطاب وهو سائر الأمم من غير العرب.

إذن، ما كان للقرآن الكريم أن ينزل بغير اللغة العربية مِصْدَاقاً لقوله تعالى: **{وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه لِيُبَيِّن لهم}**[1]. وقومه هؤلاء مأمورون بعد ذلك أن يُبَيِّنُوا لغيرهم لمن لا يفهم لغة الخطاب، كما أن الذين لا يفهمون لغة الخطاب مأمورون بتعلم هذه اللغة لفهم مقاصده والعمل بأحكامه، وما كان له أن ينزل بلغة أعجمية – أي غير عربية – لأنه سيحتاج إذ ذاك إلى شرح وتفصيل، قال تعالى: **{ولو جعلناه قرآنا أعجميّا لقالوا: لولا فصّلت آياته}**[2]، ولو وقع ذلك أيضا لقال القوم كيف يعقل أن المخاطب عربي والكتاب أعجميّ؟ وهذا هو ما استنبطه بعض المفسّرين من قوله تعالى: **{أأعجميّ وعربيّ}** ولو أنزل نصفه بالعربية ونصفه بالأعجمية لقالوا بالكلام نفسِه[3].

قلت: وقد يكون من حكمة ذلك أن الله تعالى أراد لهذه الأمة العربية هذا الشرف وهذا المقام وأراد أن يُعْلِيَ مكانتهم بين سائر الأمم فجعل خاتمة رسالاته وآخر وحيه إلى الخلق كافة بلغة العرب تخليلا لكيانهم وتفضيلا لهم على غيرهم، يقول المولى عزّ وجلّ: **{وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون}**[4]. وقوله "الذكر" هنا هنا معناه الشرف. والله أعلم.

المبحث الثالث

رجوع علماء اللغة العربية في شرح المفردات العربية وحل مشكلاتها إلى القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كون القرآن مرجعًا لقواعد اللغة العربية.

أما كون القرآن مرجعًا لقواعد اللغة العربية: فيشهد لهذا أنّ اللغة العربية حُفِظت من الضياع والاندثار بالقرآن الكريم الذي أنزل بهذا اللسان العربي المبين، فاقرأ إن شئتَ قول الله تبارك وتعالى: **{إنّا نحن نزّلنا الذّكر**

---

[1] – سورة إبراهيم: ٤.

[2] – سورة فصلت: ٤٤.

[3] – حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر العدد ٢ عام ١٤١٧هـ. للؤدُغيري، تحت موضوع "الإسلام ولغة القرآن" ٩ – ٣٣ بتصرف.

[4] – سورة الزخرف: ٤٤.

وإنّا له لحافظون}[1]، وَجْهُ ذلك أنّ القرآن الكريم مُنَزَّلٌ من عند الله آية، ولو كان من قول البشر لتطرَّق عليه الزيادة والنقصان[2] والتضارب في ألفاظه، قال تعالى: {**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً . . .**}[3]، وعندما حظي القرآن بحفظ الله له؛ كان ذلك دليلاً على أنّ اللغة العربية التي سطر بها ما بين دفّتيه محظوظة بالفضيلة نفسها، فبقاء اللغة ببقاء الأمة التي يتكلم بها، وأهمية العلوم التي خطّت بها؛ فاللغة العربية كغيرها من اللغات مَظِنَّةُ الانصرام والاندثار، وإنما بَقِيتْ سامخةً مرفوعةَ الرأس لتكون في عِدَادِ أهم لغات العالم التي تحفظ كنوز العلوم والمعارف، ويجري بها التفاهم بين الأمة العربية، بل وَلِيُتَعرَّف ديننا الإسلامي بها كهويّة لا يمكن انفكاكُه عنها في أيّ بقعة من بقاع العالم. وإذا كان لأَشْعَارِ العرب في الجاهلية وفي منتصف المئة الثانية من عصر الإسلام دورٌ مَلْمُوسٌ في حفظ هذه اللغة، بل واستشهاد النُّحَاةِ بها؛ فإنّ القرآن الكريم منذ بداية نزول الوحي على نبينا محمد بهذه اللغة الشريفة هو المتَكَفَّلُ الحقُّ بالحفظ الأكيد لها إلى أبد الآبدين ودهْر الداهرين، ولذلك كان مرجعاً للنحاة واللّغويين في تَقْعِيد قَوَاعِدِهم وتَوْجِيهِ وتخريجِ مسائلهم. قال تعالى: {**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**}[4] ومعنى الآية: أنّه ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه مُنَزَّلٌ من رب العالمين[5] وما كان شأن هكذا في الرسوخ والثبوت هو الذي يصلح حقًّا عمادًا لغيره يدعمه ويقوّيه ويحميه ويرفع شأنَه.

المطلب الثاني: التعويل على القرآن الكريم في استقراء القواعد النحوية

مما لا شك فيه أن التفسير القرآني ورد على أعلى درجات الفصاحة والبيان، وأنه لا يستطيع أحد من الإنس والجن أن يأتي بمثله في نظمه وتكوينه، ومن هذا، عندما أراد علماء النحو (النحاة) وَضْعَ القواعد اللغوية والأحكام النحوية عدّوا القرآن الكريم المصدر الأول والأصلي لاستقرائها، والتعويل عليه عند بعض الخلافات الإعرابية وليس كلها باعتبار أن لغة القرآن الكريم هي اللغة الفصحى قال تبارك وتعالى: {**إنا أنزلناه قرآنا عربيًّا لعلّكم تعقلون**}[6] وقال تعالى: {**وإنّه لتنزيل ربّ العالمين * نزل به الرّوح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربيّ مبين**}[7]. وقال أيضًا: {**كتابٌ فصّلت آياته قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون**}[8].

---

[1] – سورة الحجر: ٩.

[2] – الكشاف عن حقائق غوامص التنزيل للزمخشري، وعيون التأويل ٣٩٩/٣ – ٤٠٠.

[3] – سورة النساء: ٨٢.

[4] – سورة فصّلت: ٤٢.

[5] – تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١٢٩/٤.

[6] – سورة يوسف: ٢.

[7] – سورة الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥.

[8] - سورة فصلت: ٣.

لهذا السبب، يوجد بعض المتحمسين للغة العربية يذهب إلى ضرورة استقاء المادة النحوية لقواعد اللغة العربية من النصوص القرآنية بحجة أن النص القرآني على أعلى درجات الفصاحة والبيان، وفي الحقيقة لو اعتمد النحاة الأوائل كليًا على تقعيد القواعد النحوية من خلال القرآن فقط لجاءت على أتم صورة وأجملها، ولوردت خالية من التعقيدات والضرورات والشواذ التي امتلأت بها كتب النحو فزادت من صعوبته. لكن الواقع أن القرآن الكريم كتاب تشريع سماوي، وليس كتاب نحو يمكن الاعتماد عليه في وضع جميع القواعد النحوية، لأنه لا يحوى جميع الشواهد والأمثلة لجميع القواعد والظواهر اللغوية.

فمن الأمثلة لاشتمال القرآن على القواعد النحوية ما يلي:

(أ) الأسماء الخمسة أو الستة، لقد ذكر منها القرآن أربعة وهي: (أبو، أخو، فو، ذو) ولم يذكر (حمو، وهنو).

(ب) الأفعال الناقصة (كان وأخواتها) ورد كلها في القرآن ما عدا: (أضحى، وما انفك، وأمسى، وصار).

نعم، ورد الفعلان (أمسى) و (صار) تامَّيْن وليسا ناقصين؛ وذلك في قوله تعالى: **{فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون}**[1] أي: تدخلون في وقت المساء.

وقوله تعالى: **{ألا إلى الله تصير الأمور}**[2]، و(صار) هنا بمعنى جاء وانتقل، فهي تامة وليست ناقصة.

وهناك موضوعات وقواعد نَحْوية كثيرة أخرى ذكرت في القرآن الكريم مثل أفعال المقاربة، والاستثناء. وبعضها موجودة في كتب اللغة العربية ولم يتطرق إليها القرآن مثل أسلوب الاختصاص والترخيم وهذا لا ينتقص من شأنها وكيانها واعتبارها لغة فصيحة وبليغة[3].

المطلب الثالث: اشتمال القرآن الكريم على جميع ألوان الفصاحة والبلاغة في اللغة العربيّة ويتمثّل هذا في:

أ: فصاحةُ الألفاظ القرآنية وروعتها:

ومعنى ذلك: أنه ظاهرةٌ متبادرةٌ إلى الفهم مَأنوسةُ الاستعمال لحُسنِها، وهو كثير في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: **{الآن حصحص الحقُّ}**[4] وقوله تعالى: **{فلمّا اسْتَيْأسوا منه خَلصوا نجيّا}**[5].

ب: فصاحة جمل القرآن وتركيبه:

اشتمل القرآن على الفصيح والأفصح والمليح والأملح، ولذلك كان القرآنُ أحسن الحديث وأفصحه قال تعالى: **{الله نَزَّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم**

---

[1] – سورة الروم: ١٧.

[2] – سورة الشورى: ٥٣.

[3] – للاستزادة راجع: www.sdabasham.net/show.php

[4] – يوسف: ٥١.

[5] – يوسف: ٨٠.

وقلوبهم إلى ذكر الله . . . }[1] ولذلك أمثلة ومنه قوله تعالى: **{وجنى الجنّتين دان}**[2] فلو كان مكانه: وثمرة الجنّتين قريب، لم يقُمْ مقامه مِن جهة الجناس بين الجنى والجنّتين، وقوله: **{وهن العظم منّي}**[3] فهو أحسن مِن ضعف العظمُ، وقوله: **{لقد آثرك الله علينا}**[4] أحْسَنُ مَن: فَضَّلَكَ علينا[5].

ج: بلاغة القرآن المعجزة:

وبلاغة الكلام: هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومنه قوله تعالى: **{وقيل يا أرضُ ابْلعِي مَاءكِ ويا سماء أقلعي وغيض الماءُ وقُضِيَ الأمرُ واستوت على الجودِيِّ وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين}**[6].

فألوان البلاغة كثيرة ومتعدّدة، منها باب الإبداع وهو: أن تكون كُلُّ لَفْظَةٍ مِن لفظ الكلام على انفِرادها متضمنةً بديعًا أو بديعين بحسب قوّة الكلام، ومَا يعطيه معناه، والآية السابقة متضمنةٌ واحدًا وعشرين ضربًا مِن البديع وعدد ألفاظها سبع عشرة لفظة، ومن البديع الوارد في الآية مَا يلي:

١- المناسبة التّامة في أبلعي وأقلعي.

٢- المطابقة اللفظية في ذكر السماء والأرض.

٣- الاستعارة في قوله أبلعي وأقلعي.

٤- المجاز في قوله (ويا سماء) فإن الحقيقة: ويا مطرَ السماء أقلعي.

٥- الإرداف في قوله: {واستوت على الجوديِّ . . . } فإنه عَبَّر عن استقرار السفينة على هذا المكان وجلوسِها جلوسًا متمكّنًا لا زيغ فيه ولا ميل بهذا التعبير.

٦- التمثيل: فإنه عبّر بذلك عن هلاك الهالكين ونجاةِ الناجين.

٧- الاحتراس في قوله: {وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين} حتى لا يُتوهّم أنّ العذاب وقع على غير المستحقين للعذاب، وغير ذلك كثير[7].

المبحث الرابع
تجذّر العلوم الإسلامية من القرآن الكريم

---

[1] – الزمر: ٢٣.

[2] – الرحمن: ٥٤.

[3] – مريم: ٤.

[4] – يوسف: ٩١.

[5] – ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٢٥/٢، وأساليب الدعوة المعاصرة: للدكتور حمد بن ناصر العمّار، ١١٦ – ١١٨. ١١٨.

[6] – هود: ٤٤.

[7] – أساليب الدعوة المعاصرة (المرجع السابق) ص ١١٧ – ١١٨، نقلا عن بينات المعجزة الخالدة، للدكتور حسن ضياء عتر ٢٦٤ – ٢٦٥.

إن معظم العلوم (العربية والإسلامية) إذا لم نبالغ في جميعها تفيئ إلى القرآن الكريم لأنه الكتاب المبين الذي يحدد المفاهيم، ويجعل المادة المعالجة أكثر تناسقا وتجانسًا مع الفكر البشري، لأن اللغة المتداولة في القرآن الكريم هي اللغة نفسها التي ولد بها الإنسان، وتجده يجعل الإنسان يتأقلم بسهولة مع المصطلحات العلمية المتداولة.

وقد يمتاز القرآن الكريم بهذا الفضل من الله تعالى، ثم بفضل توفر شرطين رئيسين:

أحدهما: مرونة لغة القرآن والمتمثل في اللغة العربية التي كانت تعتبر لغة الشارع والأقوام ولغة المختبر، مما أهلَّها لتكون لغة قوية عالمية.

ثانيهما: احتواء اللغة العربية كل المبادئ والقيم التي ترتبط بها العلاقات الإنسانية، فانصبت جهود المسلمين على القراءة والتدبر، والنقل، والترجمة، والبحث، والتلقين، والترشيح، والاستنباط.

ولقد استخرج العلماء من القرآن الكريم كثيرًا من المصطلحات المرتبطة بقضايا علمية، وإعجازية. تمكنهم من إثبات أصالة القرآن الكريم، وسنة نبيه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وإعجازهما الخالد في الزمان والمكان، قال تعالى: **{ما فرّطنا في الكتاب من شيئ}**[1] وقال: **{ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكلّ شيئ}**[2].

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: **"ألا إنّها ستكون فتنة"** فقلت: مَا المخرّجُ منها يا رسول الله؟ قال: **"كتاب الله، فيه نَبَأُ ما كان قبلكم، وَحُكْمُ ما بينكم"**[3]. . . الحديث.

يقول الحافظ السيوطي: قال ابن برجان: ما قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من شيئ فهو في القرآن به أو فيه أصله، قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعَمه عنه من عمه، وكذا كل ما حكم أو قضى، وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده، وبذل وسعه ومقدار فهمه[4].

المبحث الخامس

نماذج من العلوم الإسلامية والعربية المستنبطة من القرآن الكريم

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه لا يخلو علم من العلوم الإسلامية إلاّ وله شاهد في القرآن منها ما يلي:

١- علم القواعد اللغوية والنحوية. لقد اعتنى النحاة بالمعرب من القرآن والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، حتى إن بعضهم أعرب مشكل القرآن، وبعضهم أعربه كلمة كلمة.

---

[1] – الأنعام: ٣٨.

[2] – النحل: ٨٩.

[3] – أخرجه الترمذي من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، سنن الترمذي ٥،١٧٢ – ١٧٣، كتاب فضائل القرآن، باب: باب: ما جاء في فضل القرآن، رقم الحديث (٢٩٠٦).

[4] – الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٢/٢٤٥.

٢- علم التفسير: لقد اهتم المفسرون بالقرآن واعتنوا بألفاظه فوجدوا منه لفظًا يدل على معنى واحدٍ، ولفظًا يدل على معنيين، وآخر على أكثر من معانٍ، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني.

٣- علم التوحيد: أخذ الأصوليون بما في الآيات القرآنية من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية، مثل قوله تعالى: **{لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا}**[١] فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله، ووجوده، وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به، وسموا هذا العلم بأصول الدين.

٤- علم الفرائض: أخذ قوم مما في آية المواريث —من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك — علم الفرائض، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض، ومسائل العول، واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

٥- علم الطب: فمداره على حفظ نظام الصحة، واستحكام القوة، إنما يكون ذلك باعتدال المزاج، وهذا كله اجتمع في آية واحدة وهي قوله تعالى: **{وكان بين ذلك قوامًا}**[٢]. وكل ما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله، وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله يسمى طبًا كما في قول تعالى: **{شراب مختلفٌ ألوانه فيه شفاء للناس}**[٣].

٦- علم التشريح: لقد ذكر القرآن الكريم شيئًا لم يخطر على بال أحد من علماء علم وظائف الأعضاء والتشريح —ذكره القرآن منذ خمسة عشر قرنا، ولم يعرف إلاّ أوائل القرن العشرين، وهي بصمات الأصابع، يقول الله تعالى: **{أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامّه * بلى قادرين على أن نُسَوِّيَ بنانه}**[٤].

والبنان: هو طرف الإصبع الذي تأخذ (البصمات)، وقد أثبت القرآن أن ملايين الملايين منذ خَلَق الله آدم وإلى يوم القيامة، لا تتفق بصمة شخص مع بصمة آخر، فإذا عرفت هذا، علمت مَدَى قدرة الله تعالى على الخلق والإبداع[٥].

٧- علم الفقه: وذلك في قوله تعالى: **{وما كان المؤمنون لينفروا كافّة فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . . . }**[٦].

٨- علم أصول الفقه وذلك في قوله تعالى: **{ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم . . . }**[١].

---

[١] – الأنبياء: ٢٢.

[٢] – الفرقان: ٦٧.

[٣] – النحل: ٦٩.

[٤] – القيامة: ٤ — ٣.

[٥] – معجزات الأنبياء: لمنصور عرابي ص ١٥٢ بتصرف.

[٦] – التوبة: ١٢٢.

٩- علم الدعوة: في قوله تعالى: **{ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة . . . }**[٢] وقوله تعالى: **{فلذلك فادع واستقم كما أمرت . . . }**[٣].

١٠- علم السياسة: في قوله تعالى: **{يا داود إنّا جعلناك خليفةً في الأرض . . . }**[٤] وقوله تعالى: **{وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض . . . }**[٥] وقوله تعالى: **{اجعلني على خزائن الأرض . . . }**[٦] وقوله تعالى: **{ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذّكر . . . }**[٧].

١١- علم الصناعة والهندسة: استنبط ذلك من أمثال قوله تعالى في القرآن: **{انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شُعب}**[٨].

١٢- نماذج من العلوم التجريبية في ميدان الفيزياء: (علم الفلك).

(أ) الفتق: يعتبر هذا اللفظ أحد أهم المصطلحات العلمية في العصر الحديث في علم الفلك، ومعناه الانفجار الذي يطون للكون نتيجة الدمار والخراب، كما قال تعالى: **{أو لم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما}**[٩].

(ب) الطي: لقد حقق علماء الفيزياء الكونية في السنوات الماضية الغير بعيدة، فأطلقوا على وضعية الكون في نهاية حياته مصطلح "الانكماش الأعظم" لكن القرآن يستخدم مصطلح "الطي" استنباطًا ومصداقًا لقوله تعالى: **{يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين}**[١٠].

(ج) التكوير: وفي الوقت الذي لا يجد علماء الفيزياء مصطلحًا يقابل نهاية عمر الشمس، فإن القرآن يعبّر عن وضعية الشمس في مرحلتها النهائية بلغة بسيطة التركيب، قوية الدلالة، سهلة الفهم حيث يقول تبارك وتعالى: **{إذا الشمس كوّرت}**[١١] - [١٢].

---

[١] - النساء: ٨٣.

[٢] - النحل: ١٢٥.

[٣] - الشورى: ١٥.

[٤] - ص: ٢٦.

[٥] - النور: ٥٥.

[٦] - يوسف: ٥٥.

[٧] - الأنبياء: ١٠٥.

[٨] - المرسلات: ٣٠.

[٩] - الأنبياء: ٣٠.

[١٠] - الأنبياء: ١٠٤.

[١١] - التكوير: ١.

[١٢] - مقالة بعنوان: لفظ القرآن الكريم مفتاح العلوم التجريبية، للأستاذ الدكتور إدريس الخرشاف .www.hiramagazine.com

- وفي القرآن أيضًا – شواهد لأصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها، ويحتاجها الإنسان في حياته مثل:

أ- الخياطة في قوله تعالى: **{وطفقا يخصفان}**[1].

ب- الحدادة في قوله تعالى: **{ءاتوني زُبَرَ الحديد}**[2], وقوله: **{وألنّا له الحديد}**[3].

جـ- والنّجارة في قوله تعالى: **{واصنع الفلك بأعيننا}**[4].

د- الجزارة في قوله تعالى: **{إلاّ ما ذكّيتم}**[5].

هـ- الصياغة: في قوله تعالى: **{واتخذ قوم موسى من بعده من حليِّهم عجلاً جسدًا}**[6] **–** [7].

وفي هذا الكتاب المبين من العلوم ما وقع ويقع في الكائنات، وكل ذلك يحقق قوله تعالى: **{ما فرّطنا في الكتاب من شيئ}**[8].

---

[1] – الأعراف: ٢٢.

[2] – الكهف: ٩٦.

[3] – سبأ: ١٠.

[4] – هود: ٣٧.

[5] – المائدة: ٣.

[6] – الأعراف: ١٤٨.

[7] – الإتقان في علوم القرآن، (المصدر السابق): ٢٤٧/٢ وما بعدها.

[8] – الأنعام: ٣٨.

الخاتمة

توصل البحث عند مطافه الأخير إلى نقاط ملخصها ما يلي:

- اكتسبت اللغة العربية الضمان الإلهي لأصالتها وبقائها والأمن على ضياعها أو التلاعب والعبث بها، والخلاص من التحديات عليها، كل ذلك من القرآن الكريم الذي هو مصدرها الأول الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه.
- رجوع علماء اللغة العربية في فك التعقيدات اللغوية، وشرح المفردات الغامضة، وتقعيد القواعد اللغوية العامة إلى كتاب الله العزيز (القرآن الكريم).
- الحكمة البالغة من إنزال المولى –جل وعلا– القرآن الكريم باللغة العربية لسان قوم الرسول المصطفى صلّى الله عليه وسلّم حتى يفهموه، ويكون لبيانه صلّى الله عليه وسلّم ودعوته أثر مؤثر في القلوب والأعمال.
- الشواهد القرآنية على أصالة العلوم العربيّة والإسلامية، وعلى استنباط قواعدها وضوابطها من القرآن الكريم مثل: علم التوحيد، والحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة، والخط، والفيزياء، والرياضيات، والزراعة، وغيرها من العلوم الضرورية في حياة الإنسان، وذلك يحقق قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيئ} الآية.

هذا، وصلّى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقانُ في علوم القرآن: تأليف الحافظ جلال الدّين عبد الرّحمن السُّيوطِي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، تأليف الدكتور حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمّار، الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، دار إشبيليا، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة.

٤- تفسير القرآن العظيم، تأليف الحافظ عماد الدين أبي الفداء: إسماعيل بن كثير القرشي، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥- حَوْلِيَاتُ الجامعة الإسلاميّة بالنيجر، العدد ٢ عام ١٤١٧هـ. تحت موضوع الإسلام ولغة القرآن، للأستاذ: عبد العليّ الوُدُغيري.

٦- سنن الترمذي: تأليف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٧- فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، تأليف محمد بن عليّ بن محمد الشوكاني. الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م، مطبعة مصطفى عيسى البابي الحلبي، بمصر.

٨- الكشافُ عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض.

٩- مقالة بعنوان: لفظ القرآن الكريم مفتاح العلوم التجريبيّة، للأستاذ الدكتور إدريس الخرشاف www.hiramagazine.com.

١٠- المعجم المفهرسُ لألفاظ القرآن الكريم، تأليف محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م. دار الحديث – القاهرة.

١١- معجزات الأنبياء عليهم السلام، تأليف منصور عرابي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م. دار الفاروق للنشر.

١٢- www.sdabasham.net/show.php.